رؤية بلاغية لوصف أبليس في آيات القرآن الكريم

Rhetorical vision of describing the Devil in the verses of the Noble Qur’an

إعداد

عبير بنت إبراهيم بن عبدالله الزبيدي

Doi:10.12816/jnal.2021.144692

الاستلام: ٢٠٢٠/١٠/٣٠ القبول: ٢٠٢٠/١١/٢٠

المستَخلص :

القرآن دستورنا الرباني ومعجزة نبينا الأمي الذي تحدى به الإنس والجن فعجزوا أن يأتوا ولو بآية من مثله ، و من فضل الله عليّ ثم ببركة دعاء والديّ لي أن يسر ليّ موضوع (حديث القرآن الكريم عن الشيطان الرجيم) والذي شغلني فترة من الزمن و أنا بين الإقدام والإحجام ، و لما عزمت على اختيار الموضوع شدني إليه تلك العداوة الأزلية بين بني آدم والشيطان ، الذي أخرج أبويهم من الجنة ، وأقسم أمام الله - سبحانه- على إغواء عباده أجمعين . وقد أرشدنا المولى الكريم في مواضع عديدة من كتابه إلى الحذر من الشيطان واجتناب خطواته ، وما أحوجنا لمحاربته والحذر منه لاسيما في عصر اجتمعت فيه شياطين الإنس والجان لإغواء بني الإنسان. ودراسة الشيطان دراسة موضوعية جاءت في عدة كتب منها : كتاب (تلبيس إبليس)لأبي فرج الجوزي، وكتاب(إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) لمحمد بن أبي بكر الزرعي ، و من الكتب الحديثة التي تناولت موضوع الشيطان من الناحية الموضوعية كتاب (إبليس) لعباس محمود العقاد.

Abstract:

The Qur’an is our divine constitution and the miracle of our illiterate prophet who challenged mankind and the jinn, and they were unable to come even with a verse of something like him, and from the grace of God to me, then with the blessing of my parents ’supplication for me, the subject of (the Noble Qur’an hadith about the accursed Satan) which occupied me for a period of time while I was between boldness And reluctance, and when I decided to choose the subject, I was drawn to that eternal enmity between the children of Adam and Satan, who drove their parents

out of Paradise and swore before God - Glory be to Him - to seduce all His servants. The Honorable Lord has guided us in many places of his book to beware of Satan and avoid his steps, and how much we need to fight him and beware of him, especially in an age in which the demons of mankind and the elves gathered to seduce human beings. The study of the Devil is an objective study that came in several books, including: The book “Dressing the Devil” by Abu Faraj Al-Jawzi.

التمهيد :

- **إطلاقات القرآن على الشيطان :**

بين الله تعالى في كتابه الكريم أنه خلق الخلق لعبادته سبحانه فقال جلّ من قائل : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[1] والخلق أنواع منهم :

أ- الإنس : هم بنو آدم الذين خلقهم الله تعالى من الطين وكرمهم وفضلهم على الخلق أجمعين وسخر لهم المخلوقات وأسجد لهم الملائكة .

ب- الملائكة : وهم عالم روحاني مستقل له خصائصه وصفاته وأحواله .

ج- الجن : وهم نوعان : شياطين وجن، ومنهم : الصالح ومنهم الكافر ، و الشياطين أصلهم من الجن ، و ذلك لأن إبليس كان من الجن لإخبار القرآن الكريم بذلك .

ولما أبلس الشيطان وطُرِد من الرحمة الإلهية وانقطع من الخير كلية ، كانت ذريته مثله بحكم الوراثة لا خير فيهم أصلا ، فلا يعرفون إلا الشر ولا يدعون إلا إليه ، ثم إن كل من يخبث ويتمرد وينقطع عن الخير من أفراد الجان والإنسان يصبح شيطانا.[2]

وقد قال ابن منظور : (وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان) [3]

وكذلك قال ربنا جل ثناؤه :(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن)[4]

---

[1] - الذاريات / ٥٦

٢- عقيدة المؤمن : أبوبكر الجزائري :٢٢٢،٢٢١

٣- لسان العرب لابن منظور : مادة : شطن ، المجلد الرابع ، ص٢٢٦٥، دار المعارف /ط١٤٠١هـ ١٩٨١م

٤ - الأنعام /١١٢

"وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطانا لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعالهم ، وبعده عن الخير "[٥]

والشيطان هو : " روح شرير مغوٍ ، وكل متمرد مفسد ، والحية الخبيثة ، ويقال في تقبيح الشيء : كأنه وجه شيطان ، أو رأس شيطان ، وفي التنزيل العزيز في وصف شجرة جهنم : (طلعها كأنه رؤوس الشياطين)[٦]

ويقال : ركبه شيطانه : غضب ولم يعبأ بالعاقبة ، ونزع عنه شيطانه : استمسك بالحلم . وشيطان الفلاة : العطش ، وشيطان الشاعر في معتقد أهل الجاهلية – جني كانوا يزعمون أنه يلهم الشاعر ، قال الراجز : فإن شيطاني أمير الجن " [٧]

وورد لفظ الشيطان في القرآن مفرداً معرفاً في ست وستين موضعاً، وجاء مفرداً نكرة ست مرات كما ورد مجموعا ثمان عشرة مرة ، وأُطلِق اسم إبليس على الشيطان الذي عصى الله وامتنع عن السجود لآدم إحدى عشرة مرة.

ومعنى إبليس : "من أبلس الرجل : قطع به . وأبلس سكت . وأبلس من رحمة الله أي يئس وندم ، ومنه سمي إبليس وكان اسمه عزازيل وفي التنزيل العزيز : (يومئذ يبلس المجرمون) وإبليس لعنه الله مشتق منه لأنه أبلس من رحمة الله أي أويس . وقال أبو إسحاق لم يصرف لأنه أعجمي معرفة " [٨]

وللعلماء في حقيقة إبليس رأيان :

أحدهما : أنه كان جنيا واحدا بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم متصفا بصفاتهم ، ودليل ذلك قوله تعالى : (وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)[٩] .

ثانيهما : أنه كان من الملائكة ، لأن خطاب السجود كان مع الملائكة ، ولأن الظاهر من هذه الآية وأمثالها أنه منهم ، قال البغوي وهو الأصح ، وقال في التيسير: "أن وصف الملائكة بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم دليل على تصور العصيان منهم،و لولا ذلك ما مدحوا به ، ولكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف ، وطاعة البشر تكلف ومتابعة الهوى منهم طبع ، ولا يستنكر من الملائكة تصور العصيان فقد ذكر عن هاروت وماروت ما ذكر ، وليس هناك دليل على أن بين الملائكة والجن فروقا جوهرية بها يمتاز أحدهما

---

٥ - جامع البيان (٤٩/١) ابن جرير الطبري

٦ - الصافات / ٦٥

٧ - معجم الوسيط /د. إبراهيم أنيس ورفاقه /ط٢/ج١/ ص٤٨

٨ - لسان العرب / ج١ ، ص٣٤٣

٩- سورة الكهف / ٥٠

عن الآخر ، بل هي فروق في الأوصاف فقط ، و الجميع من عالم الغيب لا نعلم حقائقها ولا نضيف إليها شيئا إلا إذا ورد به نص عن المعصوم"(١٠)

وقد نقلت لنا كتب التفسير والتاريخ أقوال عدد من العلماء ، يذكرون أن إبليس كان من الملائكة ، وهذا الرأي مجانب للصواب ولما عليه العلماء، قال ابن كثير : " وقد روي في هذا – يعني أن إبليس من الملائكة - آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها،و الله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما يقطع بكذبه ؛ لمخالفته للحقّ الذي بأيدينا . وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفّاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالبين ، وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة ، والعلماء ، والسادة ، والأتقياء ، والبررة ، والنجباء من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث ، وحرروا وبينوا صحيحه ، من حسنه ، من ضعيفه ، من منكره ، وموضوعه ، ومتروكه ، ومكذوبه ، وعرفوا الوضاعين ، والكذابين ، والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال . كل ذلك صيانة للجناب النبوي ، والمقام المحمدي خاتم الرسل ، وسيد البشر – صلى الله عليه وسلم – أن ينسب إليه كذب ، أو يحدث عنه بما ليس فيه " (١١)

وما احتجوا به من أن الله سبحانه استثنى إبليس من الملائكة ليس دليلاً قاطعاً ، لاحتمال أن يكون الاستثناء منقطعاً ، بل هو كذلك حقا ، للنصّ على أنّه من الجن في قوله تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)(١٢)

وقد ثبت بالنص الصحيح أن الجن غير الملائكة والإنس ، قال الحسن البصري : " لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين "(١٣) . والذي حققه ابن تيمية : " أن الشيطان كان من الملائكة باعتبار صورته ، و ليس منهم باعتبار أصله ، ولا باعتبار مثاله " (١٤)

والأرجح أن إبليس لم يكن من الملائكة بل هو من الجن ، كما صرح القرآن الكريم بذلك .

الفرق بين الجن والشياطين :

---

١٠ - تفسير المراغي / أحمد مصطفى المراغي / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي / ط١ ،ج١ ،ص ٨٤-٨٥

١١ - تفسير ابن كثير : ٣٩٧/٤

١٢ - الكهف /٥٠

١٣ - البداية والنهاية : ٧٩/١

١٤ - مجموع الفتاوى : ٣٤٦/٤

"الأكثر أن يخص باسم الجن نوع لا يخالط خواطر البشر ، ويخص باسم الشياطين نوع دأبه الوسوسة في عقول البشر بإلقاء الخواطر الفاسدة "[١٥]

من ذلك يمكن الخلوص إلى أمور هي :

- الشيطان في لغة العرب مشتق من شَطَن إذا بعد، يقال : شطنت الدار ، إذا بعدت . وسمي الشيطان شيطاناً لأنه بعد بطبعه عن طباع البشر بفسقه وتمرده على ربه وبعده عن كل خير. والشطن هو الحبل الممتد ، يعني أن هذا الشيطان يمتد إليك فكن حذراً منه.
- وقيل: " مشتق من شاط ؛ لأنه مخلوق من نار

و كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب؛ كما قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام:

أيما شاطِنٍ عصاه عكاه ثمّ يُلْقى في السِّجْن والأغلال فقال: أيما شاطن، ولم يقل: أيما شائط

وقال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلان إذا فَعَل فِعْل الشيطان ولو كان من شاط لقالوا: تشيط.

والشيطان مشتق من البعد على الصحيح؛ ولهذا يسمون كل ما تمرد من جني وإنسي وحيوان شيطانًا ، و معنى ذلك أن لفظ الشيطان يطلق على كل من خالف طبيعة بني جنسه من الإنس ومن الجن حتى الدواب ، و جعل من الإنس شياطينَ، مثلَ الذي جعل من الجنّ.حتى إن عمر بن الخطاب جاءوه بحمار يركبه ، فصار يجري به ويرفس ، فقال : أفٍ، إنما جئتموني بشيطان " [١٦]

فالشيطان سمي شيطانٌ ، لبعده بتمرده وفسقه عن طبيعة بني جنسه.

- ويظهر بعد ذلك أنَّ القرآنَ الكريم لا يطلق كلمة" إبليس" إلا على أول الشياطين وجوداً وهو المأمور بالسجود ،ولو أنَّ كلمة" إبليس" استخدمت في سياق الإغواء والإغراء لكان في هذا إقناط عظيم لبنى آدم ، ولكن فيض الرحمانية والرحيمية تجلى في اصطفاء كلمة "الشيطان " في هذا السياق.

وهذا من لطائف المعاني الإحسانية للقرآن الكريم التي لا يلتفت إليها إلا أهل الإحسان من علماء الأمة في فقه بيان القرآن الكريم .

الفصل الأول

مواضع حديث القرآن عن الشيطان وعلاقتها بنسق بناء السورة القرآنية

١- الشيطان في قصص الأنبياء :

---

١٥ - التحرير والتنوير /ج١٤/ص٣٢

١٦ - تفسير ابن كثير / مج :١/ ص:١٧٥،١٧٦

إن النظام العجيب الذي ينفرد به القرآن الكريم في كافة موضوعاته وأساليبه يجعلنا نقف أمامه عاجزين مقرين بأنه من لدن عزيز حكيم والقصص القرآني أسلوب من أساليب القرآن الكريم " وورد القصص في القرآن الكريم في مواضع ومناسبات ، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة ، والحلقة التي تعرض منها ، والصورة التي تأتي عليها والطريقة التي تؤدي بها "(١٧)

"والمناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء والقرآن كتاب دعوة ، ودستور نظام ، ومنهج حياة ... وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار ، بالقدر وبالطريق التي تناسب الجو والسياق "(١٨)

- **مع آدم :**

وجاءت هذه القصة في سبع سور : البقرة ، الأعراف ، الحجر، الإسراء، الكهف، طه ، ص و على الرغم من تكرار هذه القصة في مواضع من الكتاب الكريم فإنها في كل موضع سيقت لفائدة غير ما جاءت له في المواضع الأخرى ، على اختلاف أساليبها، وعباراتها ، ولا غرو فهي من نسج العليم الخبير ٠

✍ ففي أوائل سورة البقرة جاء ذكر القصة بعد ذكر الإماتة والإحياء والرجوع إليه تعالى ، وفي الأعراف بعد ذكر يوم القيامة والموازين فيه ، وفي الكهف بعد ذكر الحشر وكذا في سورة ص بعد ذكر ما أعد من الجنة والنار لخلقه ، فحيث ذكر منتهى هذا الخلق ذكر مبدأهم وقصته مع عدوه إبليس ليحذر البشر من كيده، و ينظروا ما جرى لأبيهم معه وإخراجه إياه من الجنة مقر السعادة والراحة إلى الأرض مقر التكليف ، والتعب فيتحرزوا من كيده .

وقصة الشيطان مع آدم جاءت في سورة البقرة مناسبة لسياق السورة ، فسياق سورة البقرة : " يستعرض موكب الحياة بل موكب الوجود كله ، ثم يتحدث عن الأرض في معرض آلاء الله على الناس ، فيقرر أن الله خلق كل ما فيها لهم ... فهنا في هذا الجو تجيء قصة استخلاف آدم في الأرض ، ومنحه مقاليدها ، على عهد من الله وشرط. وإعطائه المعرفة التي يعالج بها هذه الخلافة كما أنها تمهيد للحديث عن استخلاف بني إسرائيل في الأرض بعهد من الله ثم عزلهم عن هذه الخلافة وتسليم مقاليدها للأمة المسلمة الوافية بعهد الله فتتسق القصة مع الجو الذي تساق فيه كل الاتساق "(١٩) حيث "جعل الله سبحانه هذا التذكير في سياق داعٍ إلى عبادته ، وقائدٍ إلى محبته حيث امتن إلى هذا النوع الآدمي بنعمه عليهم ، وإحسانهً إليهم قبل إيجادهم ، فذكر لهم ما حاجّ به

---

١٧ ـ في ظلال القرآن :سيد قطب إبراهيم/ دار الشروق ،ج١،ص٥٥

١٨ـ المرجع السابق ، ص٥٥

١٩ ـ في ظلال القرآن :سيد قطب إبراهيم/ دار الشروق ،ج١،ص٥٥

ملائكته عنهم ، وما شرف به أباهم آدم من العلم ، وأمر الملائكة المقربين بالسجود له ، ثم ما وقع لإبليس معه ، وهما عبدان من عبيده فتاب عليه ، ولم يتب على إبليس ، مع سبقه له بالعبادة بل أوجب طرده ، وأبعده[٢٠]

مناسبة هذه الآية لما قبلها : أن الله تعالى لما شرف آدم بفضيلة العلم ، و جعله معلما للملائكة ، وهم مستفيدون منه مع أنهم قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؛ أراد الله أن يكرم هذا الذي استخلفه بأن يُسْجِد له ملائكته؛(ليظهر بذلك مزية العلم على مزية العبادة قال الطبري : قصة إبليس تقريع لمن أشبهه من بني آدم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد مع علمهم بنبوته ومع قدم نعم الله عليهم وعلى أسلافهم) [٢١].

وقوله تعالى : (أبى واستكبر وكان من الكافرين) استئناف بياني لأن امتناع إبليس عن السجود لآدم يثير في النفس سؤالا :كيف لم يفعل إبليس ما أمره الله به وكيف خالف حال جماعته وما سبب ذلك لأن مخالفته لحالة الجماعة حالة شاذة إذ المعتاد الموافقة بين الجماعات .

وأن الله لما شرف آدم برتبة العلم ، و بإسجاد الملائكة له امتن عليه بأن أسكنه الجنة،وأباح له كل شيء فيها إلا الشجرة ؛ وقد كان خروج آدم من الجنة بسبب إغواء الشيطان له " وحكمة ذلك أي : نسبة هذا الذنب إلى الشيطان بتسببه ، أن الله عز وجل يعطي عباده الخير بواسطة وبلا واسطة ولا ينالهم شر إلا بواسطة النفس،كما وقع من الإباء للشيطان ، فكانت خطيئته في ذات نفسه ، أو بواسطة شيطان كما كانت مخالفة آدم فكانت خطيئته ليست من ذات نفسه ، وعارضة عليه من قبل عدو تسبب له بأدنى ما منه ، من زوجه التي هي من أدنى خلقه ، فمحت التوبة الذنب العارض لآدم ، وأثبت الإصرار الإباء النفساني للشيطان ؛ وذكر تعالى الإزلال منه باسمه الشيطان لا باسمه إبليس لما في معنى الشيطنة من البعد والسرعة التي تقبل التلاقي ، ولما في معنى الإبلاس من قطع الرجاء ، فكان في ذلك بشرى استدراك آدم بالتوبة " [٢٢]

✍ أما في سورة الأعراف فقد كان الحديث عن قصة آدم ، وموقف الشيطان منه متسقا مع مقاصد السورة التي كان منها : تذكير الناس بنعمة خلق الأرض وتمكين النوع الإنساني من خيرات الأرض ، وبنعمة الله على هذا النوع بخلق أصله وتفضيله،وما نشأ من عداوة جنس الشيطان لنوع الإنسان ، وتحذير الناس من مكر الشيطان ؛ ليحرمهم من النعيم والفوز برضا الرحمن ، وليوقعهم في العذاب الشديد .

عطفت هذه الآية على جملة : (ولقد مكناكم في الأرض) ،و هي تذكير بنعمة إيجاد النوع ، التي هي نعمة عناية ، لأن الوجود أشرف من العدم ، بقطع النظر عما قد يعرض

---

٢٠ - نظم الدرر/ ج١/ ص٢٣٥،٢٣٦

٢١ - البحر المحيط : لأبي حيان التوحيدي /دار الكتب العلمية ،ج١ ،ص ٣٠١

٢٢- نظم الدرر: للبقاعي / دار الكتاب الإسلامي ج١،ص٢٨٨،٢٨٩

Doi:10.12816/jnal.2021.144692

للموجود من الأكدار والمتاعب ، وبنعمة تفضيله على النوع حيث أمر الملائكة بالسجود لأصله " وأدمج في هذا الامتنان تنبيهاً وإيقاظاً إلى عداوة الشيطان لنوع الإنسان من القِدم ، ليكون ذلك تمهيدا للتحذير من وسوسته وتضليله ، وإغراء بالإقلاع عما أوقع فيه الناس من الشرك والضلالة ، وهو غرض السورة ، وكان هذا بمنزلة الاستدلال وُسِّط في خلال الموعظة) [٢٣]

هنا تتضح حقارة إبليس ودناءته بعد عزة الملكية وشرفها انقلبت مرامي همته إلى التعلق بالسفاسف ، فسأل النَّظرة بطول الحياة إلى يوم البعث ، إذ كان يعلم قبل ذلك أنه من الحوادث الباقية لأنه من العالم الباقي ، و لما هبط إلى الأرض ظن أنه صائر إلى العدم فلذلك سأل الإمهال إبقاء لما كان له من قبل ، وهذا كله بتقدير الله وعلمه سبحانه وتعالى ، وجاء من إبليس طلب الإمهال، قال الله تعالى : (إنك من المنظرين) أي إنك من المخلوقات الباقية إلى يوم القيامة .

" دل مضمون ذينك الكلامين أن الله خلق في نفس إبليس مقدرة على إغواء الناس بقوله : (إنك من الصاغرين) وأنه جعله باقيا متصرفا بقواه الشريرة إلى يوم البعث ، فأحس إبليس أنه سيكون داعية إلى الضلال والكفر ، بجبلة قلبه الله إليها قلبا وهو من المسخ النفساني ، وأنه فاعل ذلك لا محالة مع علمه بأن ما يصدر عنه هو ضلال وفساد ، فصدور ذلك منه كصدور النهش من الحية ، وكتحرك الأجفان عند مرور شيء على العين ، وإن كان صاحب العين لا يريد تحريكهما"[٢٤]

وفي خطاب آدم بحضور إبليس بهذه المزية بإسكانه الجنة بعد طرد إبليس زيادة إهانة وإذلال له لأن مكافأة المحسن أمام المسيء زيادة حسرة وندامة على المعاقب بعد إساءته ويظهر بذلك التفاوت بين مستحق الإحسان ومستحق المعاقبة جزاء العصيان .

" ففي هذا الأمر بمسمع من إبليس ، مقمعة لإبليس ، لأنه إن كان إبليس مستقرا في الجنة من قبل ، فالقمع ظاهر ، إذ أطرده الله وأسكن الذي تكبر هو عن السجود إليه في المكان المشرّف الذي كان له قبل تكبره ، وإن لم يكن إبليس ساكنا في الجنة قبل فإكرام الذي احتقره وترفع عليه قمع له ، فقد دل موقع هذا الكلام ، في هذه السورة ، على معنى عظيم من قمع إبليس ، زائدا على ما في آية سورة البقرة ، وإن كانتا متماثلتين في اللفظ ، ولكن هذا المعنى البديع استفيد من الموقع وهذا من بدائع إعجاز القرآن . ووجد إيثار هذه بهذه الخصوصية : إن هذا الكلام مسوق إلى المشركين الذين اتخذوا الشيطان وليا من دون الله ، فأمّا ما في سورة البقرة فإنه لموعظة بني إسرائيل ، وهم ممن يحذر الشيطان ولا يتّبع خطواته"[٢٥]

---

٢٣ - التحرير والتنوير ج٨،ص٣٦

٢٤ - التحرير والتنوير / للطاهر بن عاشور / الدار التونسية للنشر /ج ٨/ص:٤٦

٢٥ - التحرير والتنوير/ ج ٨ ،ص :٥٣

الحديث هنا متصل في الكلام عن النشأة الأولى للبشر وفي شياطين الجن ، و ذكرت تمهيدا للحديث عن هداية الناس بما يتلوها من الآيات الوعظية والإرشادية [٢٦] وفي ذكر قصة بداية الخلق امتنان علي البشر ، وذكر لكرامة أبيهم .
وذكر الله تعالى قصة آدم عليه السلام ليبين لعباده ما جرت سننه فيهم من تسلط الشيطان عليهم ، وكيده وأنه عدو لهم .

فبعد ذكر الآيات قصة هبوط آدم وحواء إلى الأرض جاء ذكر عداوة الشيطان لهما لبيان أن عداوته مستمرة لبنيهما و ذكر هنا أنه أنزل لآدم ولبنيه كل ما يحتاجون إليه في دينهم ، ودنياهم :كاللباس الذي يسترون به عوراتهم ويتخذونه للزينة ولباس الحرب كالمغافر[٢٧] ، و الجواشن[٢٨] ،ونحوها ، فعليهم أن يشكروه تعالى على هذه المنن العظام ويعبدوه وحده لا شريك له .

قصة آدم مع الشيطان في سورة الأعراف تختلف عما ذكر في سورة البقرة حيث بسط فيها ما أجمل هناك كتصريح اللعين بالحسد ، وتصور خيريته بخلقه من النار، و طلبه الإنظار ، والتسلط على ذرية آدم ، والإذن له في ذلك ، ووعيده ووعيد متبعيه. ثم أخذه في الوسوسة إلى آدم عليه السلام : (وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين) وكل هذا مما أجمل في سورة البقرة .

وفي سورة الحجر : ذكر ابتداء الخلق ؛ ليدل على الإعادة لاحقا " لما جرت سننه الإلهية أنه - تعالى- يذكر ابتداء الخلق دليلا على الإعادة سابقا ولاحقا ، وابتدأ هنا بذكر الحشر لما قام عليه الدليل بإحياء الأرض ، وتوقع السامع تفصيل ابتداء الخلق الذي هو أدل دليل على البعث بعد إجماله في قوله (وإنا لنحن نحي) لما نبه تعالى على منتهى الخلق ، وهو الحشر يوم القيامة إلى ما يستقرون فيه ، نبههم على مبدأ أصلهم آدم وما جرى لعدوه إبليس من المحاورة مع الله تعالى " [٢٩]

نقطة التركيز في السياق هي سر التكوين في آدم ، وسر الهدى والضلال ، وعواملهما الأصيلة في كيان الإنسان . . ومن ثم نص ابتداءً على خلق الله آدم من صلصال من حمأ مسنون ، ونفخ فيه من روحه المشرق الكريم ، وخلق الشيطان من قبل من نار السموم . ثم عرض حكاية سجود الملائكة وإباء إبليس استنكافا من السجود لبشر

---

٢٦ - وذلك في الآيات التي تليها من قوله تعالى : (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) الأعراف /٢٨

[٢٧] - والمغافر جمع مغفر ، والمِغفرُ: زرد يُنسج من الدروع على قدر الرأس ، يُلبس تحت القلنسوة (ج) مفافر : / مختار الصحاح : مادة:غفر / ص ١٣٩

٢٨ - جمع جوشن ، لفظ معرب ، وهو الدرع الذي يغطي الصدر / مختار الصحاح : مادة جشن / ص٣٧٢

[٢٩] - البحر المحيط / ج٥/ ص :٤٤٠

Doi:10.12816/jnal.2021.144692

من صلصال من حمأ مسنون ، وطرده ولعنته ، وطلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته، وزاد أن إبليس قرر على نفسه أن ليس له سلطان على عباد الله المخلصين ؛ إنما سلطانه على من يدينون له ولا يدينون لله وانتهى بمصير هؤلاء وهؤلاء في غير حوار ولا عرض ولا تفصيل تبعا لنقطة التركيز في السياق ، وقد استوفيتْ ببيان عنصري الإنسان وبيان مجال سلطة الشيطان " (٣٠),

مناسبة هذه الآيات لما قبلها من وجهين :

الأول : منازعة كفار قريش للرسول صلى الله عليه وسلم واقتراحهم الآيات عليه وكل ذلك بسبب كبرهم وحسدهم للرسول صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله فناسب مجيء قصة آدم في هذا السياق لأن ما حمله على العصيان والامتناع من السجود إنما هو الكبر والحسد

والثاني : أنه لما قال (فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) بين سبب هذا الطغيان ، وهو قول إبليس (لأختنكن ذريته إلا قليلا) والمراغي يقول في إيضاح حسد إبليس لآدم عليه السلام : " بعد أن ذكر سبحانه أن الرسول صلى الله عيه وسلم كان في محنة من قومه إذ كذبوه وتوعدوه حين حدثهم بالإسراء وشجرة الزقوم ، أو أنهم نازعوه وعاندوه ،و اقترحوا عليه الآيات ؛ حسداً على ما آتاه الله من النبوة ، وكبراً أن ينقادوا إلى الحق؛بين أن هذا ليس ببدع من قومك ، فقد لاقى كثير من الأنبياء من أهل زمانهم مثل ما لاقيت ؛ ألا ترى أن آدم عليه السلام كان في محنة شديدة من إبليس ،وأن الكبر والحسد هما اللذان حملاه على الخروج من الإيمان والدخول في الكفر ؛والحسد بلية قديمة ومحنة عظيمة للخلق " (٣١)

✍ أما في سورة الكهف فإن الله لما ذكر البعث وختمه بإحسانه بالعدل بين عباده،أتبعه ببيان فضله بابتداء الخلق في سياق يُذكر بولاية الله الموجبة للإقبال عليه،وعداوة الشيطان الموجبة للحذر منه ، مُبيناً ما قابلوا به عدله من الظلم بفعلهم كما فعل إبليس من قبل من التكبر على آدم عليه السلام بأصله ، فتكبروا على فقراء المؤمنين بأصلهم وأموالهم وعشائرهم ، فكان فعلهم كفعل الشيطان فهو قدوتهم مع أنه في الحقيقة عدوهم ، ولم يقتدوا بخير خلقه .

جاء الحديث عن موقف إبليس متسقا مع مقاصد السورة ، حيث جاءت الآيات التي تتحدث عن الشيطان بعد أن ذكر الله سبحانه رده على أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بأموالهم ، وقالوا كيف نجلس مع هؤلاء ونحن من أنساب شريفة ، وهم من أنساب وضيعة ، ونحن أغنياء وهم فقراء ؟ ثم ذكر بعد ذلك عصيان إبليس لأمره تعالى بالسجود لآدم ، لأن الذي حداه إلى ذلك هو :كبره وافتخاره على آدم بأصله

---

٣٠ - في ظلال القرآن / مج:٤/ ص: ٢١٣٧

٣١ - تفسير المراغي /لأحمد مصطفى المراغي / شركة مكتبة ومطبعة البابلي الحلبي: ج ١٥،ص٦٩

وأساس خلقه ، إذ قال : (خلقتني من نار وخلقته من طين) فإبليس يدعي أنه أشرف منه أصلاً فكيف يسجد له ! تنبيها إلى أن طريقة المشركين السالفة هي بعينها طريقة إبليس ، ثم حذر سبحانه منه في قوله : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) .

المقصود من سورة طه الإعلام بالحلم ، والأناة ، والتلطف في دعوة النائي مع القدرة فذكر فعلة آدم عليه السلام هذه ، في هذه السورة بلفظ المعصية مع التصريح بأنها على وجه النسيان ، وذُكرت القصة مرتين : الأولى مجملة ، والثانية مفصلة ؛ ليكون ذلك أكثر تأكيدا للمعنى المشار إليه ؛ وليحذر بنوه من وسوسة الشيطان ويحتاطوا من شروره،و من أطاع الشيطان منهم ذُكِر بما جرى لأبيه آدم معه ، وأن عداوة الشيطان أُوضحت له ، ومع ذلك نسي ما عهد إليه ربه .

وفي الربط بين قوله تعالى :(رب زدني علما) وورود قصة آدم مع إبليس معنى جميل لأن في ذكر تلك القصة مزيد علم للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل من تبعه

ويرى المراغي أن الله سبحانه وتعالى " لما ذكر أنه صرف الوعيد في القرآن وكرره لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ، قفى على هذا ببيان أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك ونسوه كما لم يلتفت أبوهم آدم إلى الوعيد ، ونسي العهد ،فمخالفتهم قديمة وعرقهم فيها راسخ. ثم فصل عهده لآدم وبين كيف نسيه وفقد العزم ، ثم ذكر عصيان إبليس للسجود لآدم وتحذيره من الخروج من الجنة إذا هو اتبع نصائحه" [٣٢]

✍ وفي سورة ص جاء الحديث عن قصة إبليس وإباءه للسجود في قوله تعالى :

يرى البقاعي أن لتسميتها ارتباطاً وثيقاً بمقاصدها ، فحرف الصاد " مخرجه من أمكن مخارج الحروف وأوسعها وأخفها وأرشقها وأغلبها ،ولأن ماله من الصفات العالية أكثر من ضدها وأفخم وأعلى وأضخم ، ولذلك ذكر من فيها من الأنبياء الذين لم يكن على أيديهم إهلاك ، بل ابتلوا وعرفوا وسلمهم الله من أعدائهم من الجن والإنس " [٣٣] .

مبنى السورة على استكبار الكفرة ، وكونهم في عزة ، وشقاق ، وذكر قصة آدم مع إبليس تبين أن المانع له من السجود الكِبر ؛ تنفيرا منه .

وقصة خلق أدم مع إبليس تقدم ذكرها في سور كثيرة أشبهها بما في سورة ص ما في سورة الحجر ، وأبينها ما في سورة البقرة ووقع في سورة الحجر (إلا إبليس استكبر) وما في هذه السورة يبين الباعث على الإباء .

والغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر ، والمنكرون للتوحيد هم الذين أثبتوا معبودا سوى الله تعالى ، ومناسبة هذه الآية لما قبلها :أنه تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى ، واختلاف الأحزاب فيهما ، وعبادتهما من دون الله - وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة - ذكر الفريق الضال الذي عبد جمادا والفريقان وإن اشتركا في

---

[٣٢] - تفسير المراغي / ج: ٦/ ص: ١٥٧،١٥٨

[٣٣]- نظم الدرر للبقاعي / دار الكتاب الإسلامي، ج١٦،ص ٣٢١

Doi:10.12816/jnal.2021.144692

الضلال ، فالفريق العابد الجماد أضل ، ثم ذكر قصة إبراهيم مع أبيه عليه السلام تذكيرا للعرب بما كان إبراهيم عليه من توحيد الله ، وبيان أنهم سلكوا طريقا غير طريقة ، ويدل ذلك على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به،و أن ما يخبر به وحي من ربه ، و إبراهيم عليه السلام ابتدأ بأمر أبيه بإتباعه و نهيه عن عبادة الشيطان ، وعبادته كونه يطيعه في عبادة الأصنام ، ونَفَرَه عن عبادة الشيطان بأنه كان عصيا للرحمن .

وإبراهيم عليه السلام " لإمعانه في الإخلاص لم يذكر من جنايات الشيطان إلا كونه عاصيا لله ، ولم يذكر معاداته لآدم عليه السلام ؛ كأن النظر في عظم ما ارتكبه من ذلك العصيان غمى فكره وأطبق على ذهنه ، وأيضا فإن معصية الله تعالى لا تصدر إلا عن ضعيف الرأي ، ومن كان كذلك كان حقيقا أن لا يلتفت إلى رأيه ولا يجعل لقوله وزن "(٣٤)

- وجاء ذكر الشيطان مع يوسف عليه السلام في سورة يوسف في ثلاث آيات حيث أن رؤيا يوسف عليه السلام دلت يعقوب عليه السلام على أن الله تعالى يبلغه مبلغا من الحكمة ، ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه من حسد إخوته فنهاه من أن يقص رؤياه لهم وفي خطاب يعقوب لابنه يوسف ونهيه عن أن يقص على أخوته مخافة كيدهم ؛ دلالة على تحذير المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه .

مناسبة ذكر الشيطان هنا : أن العادة جارية بأن شفقة الأخوة تمنع من مثل ذلك فعلل الله سبحانه ذلك بقوله : (إن الشيطان .....) ؛ ويدل على أن الرؤيا أمرها مهم فلا ينبغي أن تقص إلا على شفيق ناصح .

"والسبب في هذا الكلام أنهم لو أقدموا على الكيد لكان ذلك مضافا إلى الشيطان ونظيره قول موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان "(٣٥) فقوله : (إن الشيطان للإنسان ....) واقعة موقع التعليل للنهي عن قص الرؤيا على أخوته لأن عداوة الشيطان لجنس الإنسان تحمله على دفع الناس لإيقاع الضرر بعضهم ببعض.

ذِكرُ الشيطان في هذه الآية جاء متفقاً مع سياق الآيات ، فالآية هنا تتحدث عن نسيان يوسف ذكر ربه حتى طلب الفرج من مخلوق مثله ، وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام ومع أن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة في الشريعة إلا أنه لما كان يوسف في أعلى المقامات وأشرف المراتب، وفي منصب النبوة والرسالة صار مؤاخذاً بهذا القدر من الاستعانة ونسب نسيانه لذكر ربه إلى الشيطان.

الآية هنا تصور حال يوسف عليه السلام بعد أن تحققت الرؤيا ، وتوضح لنا موقف يوسف مع أبويه وأخوته فهو عليه السلام يُرجع ما حصل بينه وبين أخوته لنزغ الشيطان

٣٤ - تفسير الرازي /ج٢١/ ص٢٢٧

٣٥- تفسير الرازي / ج١٨/ص٩١

، أي :من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي ، وقطع ما بيننا من وشيجة الرحم ، وهيج الحسد والشر ؛ وذِكرُ الشيطان لإسناد النزغ إليه لأنه الموسوس .

تحدثت الآيات عن تكذيب من كذب بالنبي صلى الله عليه وسلم ، و بينت أن ذلك كان بتسليط الله الشياطين عليهم بوسوستهم ، فأمر الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على ذلك وقص عليه من أخبار الأوابين تعليما لحسن الأوبة إن وهن الصبر ، واتبعه بالإخبار عن الصابر الأواب الذي لم يتأوه إلا من وسوسة الشيطان لزوجه بما كان يفتنها ليزداد النبي صلى الله عليه وسلم بذكر هذه الأخبار صبرا ويتضاعف إقباله على الله تعالى .

بعد أن ذكر سبحانه قصص المشركين الذين كانوا يفتخرون على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأنصار ، وامتنعوا عن حضور مجلس النبي- صلى الله عليه وسلم- لئلا يشتركوا مع أولئك الصعاليك في مجلس واحد ، قفى على ذلك بذكر قصص موسى عليه السلام مع الخضر ؛ ليبين بها أن موسى مع كونه نبيا صادقا أرسله الله إلى بني إسرائيل بشيرا ونذيرا وهو كليم الله ، أُمر أن يذهب إلى الخضر ؛ ليتعلم منه ما لم يعلمه ؛ وفي ذلك دليل على أن التواضع خير من التكبر .

" هذا ابتداء قصة ثالثة ذكرها الله تعالى ، وهي : أن موسى عليه السلام ذهب إلى الخضر عليه السلام ليتعلم منه العلم ، هذا وإن كان كلاما مستقلا في نفسه إلا أنه يعين على ما هو المقصود في القصتين السابقتين . أما نفع هذه القصة في الرد على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والأنصار ، فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه ، وعمله ، وعلو منصبه ، واستجماع موجبات الشرف التام في حقه ، ذهب إلى الخضر ؛ لطلب العلم ، وتواضع له ، وذلك يدل على أن التواضع خير من التكبر ، وأما نفع هذه القصة في قصة أصحاب الكهف فهو أن اليهود قالوا لكفار مكة : إن أخبركم محمد عن هذه القصة فهو نبي وإلا فلا ، وهذا ليس بشيء لأنه لا يلزم من كونه نبيا من عند الله تعالى أن يكون عالما بجميع القصص والوقائع ، كما أن كون موسى عليه السلام نبيا صادقا من عند الله لم يمنع من أمر الله إياه بأن يذهب إلى الخضر ليتعلم منه ، فظهر بما ذكرنا أن هذه القصة قصة مستقلة بنفسها ، ومع ذلك فهي نافعة في تقرير المقصود في القصتين المتقدمتين" [٣٦]

مناسبة ذكر الشيطان هنا أن موسى عليه السلام لما طلب الحوت ، ذكر يوشع* ما رأى منه ، وما حصل له من نسيانه إلى تلك الغاية ، فدهش وبدأ يسأل موسى-عليه

---

٣٦ ـ تفسير الرازي ج٢١، ص١٤٤

* هو يوشع بن نون وإنما قيل : فتاه ؛ لأنه كان يخدمه ويتبعه ، وقيل كان يأخذ منه العلم الكشاف ج٣ ص ٥٩٥-٥٩٦

Doi:10.12816/jnal.2021.144692

السلام – عن سبب ذلك ، كأنه قال : أرأيت ماذا دهاني إذ أوينا إلى الصخرة؟ فإني نسيت الحوت وما أنساني ذكره إلا الشيطان .

يذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على موسى عليه السلام وما أفاض به عليه في الصغر من إنجائه من الهلاك ، بعد وضعه في التابوت ، وإلقائه في النيل ، وإنجائه من الذبح الذي عم أبناء بني إسرائيل ،ثم أردفه بذكر ما أنعم به عليه في كبره من إيتائه العلم والحكمة ،ثم إرساله رسولاً ونبياً إلى بني إسرائيل و المصريين ،ثم بذكر ما حصل منه من قتل المصري ، الذي اختصم مع اليهودي بوكزه بجُمْع يده ، وكان ذلك سببا في موته ، ثم طلبه المغفرة من ربه على ما فعل ، وما فعله كان من عمل الشيطان أي:لأني لم أُومر به على الخصوص ، ولم يكن من قصدي وإن كان المقتول كافرا ؛ ثم أخبر عن حال الشيطان بما هو عالم به ، ليؤكد ذلك وليحمل نفسه على الاحتراس والحذر من الشيطان .

يبين سبحانه في هذه الآيات حالاً من أحوال الكفار ، من جحود ، وعناد، ومعاداة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي اشتغالهم بصناعات وأعمال صادة عن الأديان من صنع شياطين الإنس والجن ، فاشتغلوا بالسحر والشعوذة والطلسمات التي نسبوها إلى سليمان وزعموا أن ملكه كان قائما عليها .

وهذه أباطيل منهم وسوسوا بها إلى بعض المسلمين فصدقوهم فيما رموا به سليمان من الكفر ، ولا يزال حال الدجالين من المسلمين إلى اليوم يتلون العزائم ويخطون خطوطا ويعملون طلسمات يسمونها خاتم سليمان ، وعهودا يزعمون أنها تحفظ من يحملها من اعتداء الجن والعفاريت .

" وإنما قص القرآن علينا هذه القصص للذكرى ، وليبين لنا ما افتراه أهل الأهواء على سليمان من أمر السحر فكان صاداً عن العمل بالدين ، وأحكامه لدى اليهود ومن لم يهتدوا بالنبي الذي بشر به كتابهم "[٣٧]

بعد أن ذكر الله ما أنعم به على نوح عليه السلام من النعم الجليلة قفى على ذلك بذكر الإحسان العظيم الذي آتاه داود وسليمان عليهما السلام .

ومن تلك النعم أنه تعالى " أنعم على سليمان بتسخير الريح العاصفة التي تجري بأمره ، وبتسخير الشياطين تغوص في البحار لتخرج له اللؤلؤ والمرجان ، وتعمل له أعمالا أخرى غير ذلك " [٣٨].

دعا سليمان ربه أن يؤتيه ملكاً لا يكون لغيره فأخبر الله أنه أجاب دعاءه ، بإيتائه ملك لا ينبغي لأحد غيره ووفقه لتحصيل ما أراده وعدد نعمه عليه ، والآيات فيها تعداد لنعم الله على نبيه سليمان عليه السلام.

---

[٣٧] - تفسير المراغي /ج١/ص١٧١
[٣٨] - تفسير المراغي / ج:٧ /ص٥٧

ومنها : أن الله سبحانه وتعالى سخر له الشياطين في الأعمال الشاقة كالبناء والغوص في الماء ، ومن لم يطع أمره وضعه في السلاسل والأغلال كفاً لشره ، وعقابا له ، وعبرة لغيره .

✍ وفي قصة الهدهد مع سليمان جاء ذكر الشيطان حين أراد الهدد الاعتذار إلى سليمان فساق الحجج لغيابه فـ(أخبر أولا بإطلاعه على ما لم يطلع سليمان تحصنا من العقوبة بزينة العلم الذي حصله ، فتشوف السامع إلى علم ذلك ، ثم أخبر ثانيا بتعلق ذلك العلم وهو أنه من سبأ ، وأنه أمر متيقن لا شك فيه فزاد تشوف السامع إلى سماع ذلك النبأ . ثم أخبر ثالثا عن الملك الذي أوتيته امرأة ، وكان سليمان عليه السلام قد سأل الله أن يؤتيه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، ثم أخبر رابعاً ما ظاهره الاشتراك بينه وبين هذه المرأة التي ليس من شأنها ولا شأن النساء أن تملك فحول الرجال (وأوتيت من كل شيء) وقوله (ولها عرش عظيم) .... أخبره خامسا بما يهزه لطلب هذه الملكة ودعائها إلى الإيمان)[٣٩]

"بعد أن بين سبحانه أن الدين الحق هو الإسلام والتوحيد ، وأن اختلاف أهل الكتاب فيه أنما هو للبغي والحسد ، وأن الفوز والفلاح منوط لإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته – ذكر هنا من أحبهم واصطفاهم وجعل منهم الرسل الذين يبينون للناس طريق محبته ، وهي الإيمان به مع طاعته والعمل بما يرضيه " [٤٠]

وممن اصطفاهم الله وأحبهم امرأة عمران التي أنجبت مريم البتول ،ومريم في لغتهم تعني العابدة ، فأرادت –امرأة عمران- بذلك التقريب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ؛ ولذلك أتبعت ذلك بطلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه .

- **الشيطان في قصص الأمم السابقة :**

مناسبة هذه الآية لسياق السورة أن الله سبحانه وتعالى يبين هنا حلمه بخلقه مع كل ما تقترفه أيديهم وظلمهم لأنفسهم وأن الله يمهلهم بالعقوبة ؛ إظهاراً لفضله ورحمته،ولو أخذهم بما كسبت أيديهم ما ترك على ظهر الأرض دابة ، لكنه سبحانه حليم ستار، وينظرهم إلى أجل مسمى ، ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم عما كان يناله من أذى قومه وبين له بأنهم ليسوا ببدع في الأمم ، فقد أرسلنا رسلاً إلى أمم من قبلك فكذبوهم فلك بهم أسوة ، فلا يحزنك تكذيبهم ونسب تزيين الأعمال الضالة إلى الشيطان ليبين أنه السبب فيها .

سورة الأنعام كلها في محاجة المشركين ، وغيرهم من المبتدعة ،و القدرية ، وأهل الملل الزائغة،و عليها مبنى أصول الدين ؛ لاشتمالها على التوحيد ، والعدل ، والنبوة

---

[٣٩]- البحر المحيط /ج ٧/ص ٦٥

[٤٠] - تفسير المراغي /ج٣/ص١٣

Doi:10.12816/jnal.2021.144692

وإبطال مذاهب الملحدين ، وبعد أن أقام الله في الآية السابقة لهذه الآية الدليل على توحيده،و أقام عليهم الحجة أن التضرع الصادق يكشف البلاء - بإذن الله تعالى- أخبرهم أن تركه يوجب الشقاء ، ترغيباً في المداومة عليه ، وترهيباً من مجانبته وفي ذلك موعظة للمعرضين عن آيات الله والمكذبين ، وتهديدهم بأن يحل بهم ما حل بالأمم المكذبة من قبلهم ، والكافرين بنعم الله ، وأنهم لا يضرون بالإنكار إلا أنفسهم ، و الشيطان وجد من طباعهم عونا على نفث مراده فيهم ،فحسّن لهم تلك القساوة ،وأغراهم بالاستمرار على آثامهم ، وأعمالهم ، وزين لهم سوء عملهم.

مناسبة هذه الآيات لسياق السورة هو : أن الله بعد أن ذكر لنبيه في الآيات السابقة أن قومه قد كذبوه بوسائل شتى من التكذيب فقالوا تارة أنه ساحر ، وأخرى أنه شاعر ، وثالثة أن القرآن الكريم أساطير الأولين ، ثم سلاه عن هذا بأنه ليس بدعا من الرسل ، فكثير قبله قد كُذبوا ، ثم ذكر أنهم لعظيم استهزائهم به وتهكمهم بما يبلغهم عن ربه - طلبوا منه استعجال العذاب الذي يعدهم به ، أردف ذلك بذكر نوع آخر من التكذيب وهو إلقاؤهم الشبه والأوهام فيما يقرؤه على أوليائهم من القرآن ليجادلوه بالباطل ويردوا ما جاء به من الحق ويكون في ذلك فتنة لضعاف الإيمان وللكافرين والشيطان يعمل على إلقاء الشبه في نفوس المؤمنين .

- ذكر الشيطان للتحذير منه :

وجاء ذكر الشيطان في القرآن الكريم للتحذير من إتباعه ولكن الخطاب القرآني لا يحذر من إتباع الشيطان مباشرة بل ينهى عن إتباع خطواته وذلك أبلغ من التحذير منه مباشرة .

هذه الآية جاءت متفقة مع نسق بناء السورة بما يحقق التناسق التام في السورة الكريمة ، فبعد أن بين في الآية قبلها حال متخذي الأنداد يوم القيامة وذكر ما سيلاقونه من العذاب ، و أن الذين اتُّبعوا سيتبرءون ممن اتبعوهم حين يرون العذاب،و تتقطع الأسباب بينهم ، وهي المنافع التي يجنيها الرؤساء من المرؤوسين والمصالح الدنيوية التي تصل بعضهم ببعض ،بين في هذه الآيات أن تلك الأسباب محرمة؛لأنها ترجع إلى أكل الخبائث وإتباع خطوات الشيطان ،فالله سبحانه وتعالى لما بين في الآيات السابقة دلائل التوحيد وما للتائبين والعاصين أتبع ذلك بذكر إنعامه على الكافر والمؤمن ليدل على أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام .

هذه الآية "استئناف على طريقة الاعتراض انتهازاً للفرصة بالدعوة إلى الدخول في السلم ، ومناسبة ذكره عقب ما قبله : أن الآيات السابقة اشتملت على تقسيم الناس تجاه الدين مراتب ، أعلاها من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله لأن النفس أغلى ما يبذل ، وأقلها من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، أي : يضمر الكيد ، ويفسد على الناس ما فيه نفع الجميع ، وهو خيرات الأرض،و ذلك يشتمل

على أنه اعتدى على قوم مسالمين ، فناسب بعد ذلك أن يدعي الناس إلى الدخول فيما يطلق عليه اسم السلم ، وهذه المناسبة تقوى وتضعف بحسب تعدد الاحتمالات في معنى طلب الدخول في السلم " [٤١]

ثم حذر من إتباع خطوات الشيطان لأن الشيطان لا يدعو للخروج من الدين دفعة واحدة بل يتدرج بخطوات حتى يخرج المرء من الدين خطوة خطوة فالدخول في السلم كافة يتنافى مع إتباع خطوات الشيطان لذا ناسب مجيء هذه الآية في هذا السياق .

✍وكذلك جاء التحذير من إتباع خطوات الشيطان في سورة الأنعام في قوله تعالى:

چ ۋ ۋ ې ېې ې ۉ ۉ ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ [٤٢]

الحديث في الآيات عن المآكل من الحرث والأنعام من حلال وحرام ، جاءت هذه الآية لتشدد في النهي عن إتباع خطوات الشيطان ، أي : طرقه في التحليل والتحريم فهو عدو مبين للإنسان ، ويرى المراغي أنه لما أخبر الله سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم حرموا أشياء مما رزقهم الله ،أخذ يذكر تعالى ما أمتن به عليهم من الرزق وفي ذلك يقول :"أصول الدين التي عني الكتاب الكريم بذكرها ، واهتم ببيانها ، وكررها المرة إثر المرة هي التوحيد والنبوة والبعث والقضاء والقدر ، وقد بالغ سبحانه وتعالى في تقرير هذه الأصول ، واتبعها بذكر آراء لهم سخيفة ، وكلمات فاسدة في التحليل والتحريم تنبيها على ضعف عقولهم ، وتنفيرا للناس من إتباع آرائهم والسير على أهوائهم "[٤٣]

والشيطان هو الداعي دائماً لمخالفة أمر الله لأنه في الحقيقة عدو مبين للإنسان .

من أغراض سورة النور التحذير من الوقوع في حبائل الشيطان و"هذه الآية نزلت بعد العشر الآيات المتقدمة ، فالجملة استئناف ابتدائي ، ووقوعه عقب الآيات العشر التي في قضية الإفك مشيرا إلى أن ما تضمنته تلك الآيات من المناهي ، وظنون السوء ، ومحبة شيوع الفاحشة كله من وساوس الشيطان "[٤٤]

وجاء التحذير من إتباع خطوات الشيطان ببيان أن الذنوب إنما يكون سببها استدراج الشيطان للإنسان لإتباع خطواته .

اشتملت هذه السورة على عدد من الأغراض منها الصبر على تلقي الشدائد ،و البلاء، وأذى العدو ، ووعدهم على ذلك بالنصر والتأييد وإلقاء الرعب منهم في نفوس عدوهم ، ثم ذكَّر الله المؤمنين بيوم أحد وهذه الآيات تتحدث عن السبب الحقيقي للهزيمة وهو استزلال الشيطان إياهم ، فالآيات هنا لا زالت تنادي بذكر ما حدث في غزوة أحد ، وما

٤١- التحرير والتنوير /ج ص: ٢٧٥
٤٢- الأنعام / ١٤٢
٤٣ - تفسير المراغي /ج٨/ص٥٠
٤٤- التحرير والتنوير /ج ١٨/ ص١٨٦

Doi:10.12816/jnal.2021.144692

فيها من العظات والعبر ومن ذلك حصول الضرر لهم بما وقع من بعضهم من الخلل الظاهر فأدبهم الله ثم تاب عليهم .
" ومناسبة ذكر هذه الآية عقب التي قبلها أنه تعالى بعد أن بين لهم مرتبة اليقين بقوله { قل لو كنتم في بيوتكم } انتقل بهم إلى مرتبة الأسباب الظاهرة ، فبين لهم أنه كان للأسباب تأثير فسبب مصيبتهم هي أفعالهم التي أملاها الشيطان عليهم وأضلتهم ، فلم يتفطنوا إلى السبب ، والتبس عليهم بالمقارن ، ومن شأن هذا الضلال أن يحول بين المخطئ وبين تدارك خطئه ولا يخفى ما في الجمع بين هذه الأغراض من العلم الصحيح ، وتزكية النفوس ، وتحبيب الله ورسوله للمؤمنين ، و تعظيمه عندهم ، وتنفيرهم من الشيطان والأفعال الذميمة "[٤٥] فهذه الآية تبين السبب الخفي لهزيمة المسلمين يوم أحد ٠

وقد يأتي ذكر الشيطان ببيان حال أتباع الشيطان تحذيراً من إتباعه أصلاً :

بين الله في الآيات السابقة لهذه الآية بأن جزاء الممتثل لأمر الله الفوز والسلامة والغنيمة بفضل من حاز أوصاف الكمال سبحانه وتنزه عن كل نقص بماله من رداء الكبرياء والجلال ورغبهم فيما لديه و" أتبع ذلك بما يزيدهم بصيرة من أن المخوف لهم من كيده ضعيف ، وأمره هين خفيف واه سخيف ، وهو الشيطان ، و ساق ذلك مساق التعليل ؛ لما قبله من حيازتهم للفضل وبعدهم عن السوء بأن وليهم الله وعدوهم الشيطان فقال التفاتا إليهم للزيادة في تنشيطهم ، أو تشجيعهم وتثبيتهم"[٤٦] (إنما ذلكم الشيطان) تهويناً لأمره .

مقصود سورة النساء بوجه عام الاجتماع على التوحيد والتحذير من الفرقة؛ والإنفاق مما يزيل الفرقة ، ويزيد من التآلف بين المسلمين ؛ في الآيات السابقة لهذه الآية جاء ذم للمقترين واتبعه بذم المسرفين المبذرين مبيناً أن الذين لا ينفقون في سبيل الله ، ولا يحسنون لمن به تقدم الأمر بالإحسان إليهم فرقتان : فرقة يمنعون النفقة أصلا ، وفرقة يمنعون وصفها ويفعلونها رياء ، فيعدمون بذلك روحها ، وبين سبحانه وتعالى أن هؤلاء ما حملهم على ما فعلوا إلا الشيطان ، و حذر من الاقتران به ؛ لأن عاقبة ذلك سيئة في الدنيا والآخرة .

الفصل الثاني

المبحث الأول

المشتقات وصيغ الأفعال ودلالاتها البلاغية

و هذا المبحث سيتناول المشتقات وصيغ الأفعال بالدراسة والتحليل لبيان دلالاتها البلاغية في الآيات التي ورد الحديث فيها عن الشيطان ، والتي كان لها أثر بالغ في أداء المعنى المراد على أكمل وجه وأبلغ صورة .

---

[٤٥] ـ التحرير والتنوير / ج٤ /ص١٣٩
[٤٦] ـ نظم الدرر /ج٥ /ص١٣٢

ولا عجب :"أن يتأنق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه ، و لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها ، يستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة ... وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفت به أختها ، فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء "(٤٧)

والمشتقات وصيغ الأفعال من المفردات التي كان لها أثرٌ بارزٌ في إظهار المعاني المرادة في الآيات التي ورد فيها ذكر الشيطان على تفاوت في نسبة كل منها ، و لا تخلو كتب التفسير قديماً وحديثاً من الإشارة للأثر البلاغي للمشتقات على سياق الجملة فها هو الشيخ عبدالقاهر يقرر أن " موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء "(٤٨)

والمشتق هو اسم مأخوذ من الفعل ، وهو بشكل عام "ما أُخذ من غيره ، بأن يكون له أصل ينسب له ، ويتفرع منه "(٤٩) والمشتقات موضع اهتمام للنحاة سواء ما دل منها على ذات متصفة بالحدث كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة ، أو ما دل على ذات فقط كالمصدر واسم الآلة والزمان والمكان(٥٠) . وهي جميعا عدا اسم الآلة وردت في الآيات التي ورد فيها ذكر الشيطان فقد جاء اسم الفاعل فيها أربعين مرة من الفعل الثلاثي :

مفردا في إحد عشر موضعاً ،نحو:(واسع - طائف - غالب- ناجٍ - الظالم –القاسية – الآخرة) وجاء مجموعا في تسعة وعشرين موضعاً ، نحو: (الظالمين- الخاسرون - أصحاب – خالدون – الغاوون – العالين) ٠

أما من غير الثلاثي فقد جاء في سبعة عشر موضع ، مفردا أربع مرات نحو:(بمصرخكم -مضلّ – مستقيم) وجاء مجوعا في ثلاثة عشر موضعاً ، نحو (مؤمنين – مشركون – المبذرين – مبصرون)

وللدلالة على عصيان إبليس وتمرده على أمر ربه ،"فالفسق : الترك لأمر الله تعالى والعصيان ، والخروج عن طريق الحق أو الفجور ... وفسق عن أمر ربه أي جار ومال

---

٤٧ - من بلاغة القرآن / د. أحمد بدوي / نهضة مصر ٢٠٠٥/ ص٥١ - وفي كلام المؤلف (تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها) ولا يقال ذلك – خُلقت- فكلام القرآن لم يُخلق ، وإنما الأصح أن يقال : إن النظم القرآني العجيب قد اقتضى وضع تلك الكلمة بعينها في موضعها دون غيرها .

٤٨ - دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني / مطبعة المدني / ط / ص١٧٤- تحقيق : محمود محمد شاكر

٤٩ - النحو الوافي / عباس حسن / دار المعارف بمصر / ط: ٣/ ص١٨٢

٥٠ - راجع دراسات في علم الصرف / د. عبدالله درويش / مكتبة الطالب الجامعي / مكة المكرمة / ط ١٤٠٨ هـ / ص٤٥ ٠

عن طاعته ، والعرب تقول إذا خرجت الرطبة من قشرها قد فسقت الرطبة من قشرها"[٥١] فالفسوق فيه شدة تناسب شدة عصيان إبليس وقمة خروجه عن أمر الله تعالى فكانت دلالته أقوى من لو قلنا فعصى أمر ربه أو خرج عن أمر ربه٠

وأعد قراءة الفعل كبكبوا ليظهر لك تلاؤم إيقاعه الصوتي مع المعنى القرآني المراد ، فالفعل (كُبوا) فيه كب بعد كب والفعل (كُبكبوا) مضاعف (كُبوا) بالتكرير ، وتكرير اللفظ مفيد تكرير المعنى . أي الدلالة على الزيادة في معنى الفعل و(الكبكة : الرمي في الهوة ، وقد كبكبه ٠ وفي التنزيل (فكبكبوا فيها هم والغاوون) قال الليث :أي دهوروا وجمعوا،ثم رُمي بهم في هوة النار ،وقال الزجاج :كبكبوا طرح بعضهم فوق بعض ، وقال أهل اللغة : معناه : دُهورو وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الإنكباب ، كأنه إذا أُلقي ينكب مرة بعد مرة ، حتى يستقر فيها ، نستجير بالله منها، وقيل قوله تعالى : (فكبكبوا فيها)أي جمعوا ، مأخوذ من الكبكبة ، وكبكب الشيء قلب بعضه على بعض "[٥٢] فالفعل وحده يعطي تصويرا للمشهد المهول بجرسه اللفظي الذي يوحي بصوت تدافعهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه " يحدث جرسه صوت الحركة التي تتم بها " [٥٣]

ولا يخفي ما في اختيار الفعل اسكن دون غيره من الأفعال التي تؤدي نفس المعنى من البلاغة القرآنية والإيجاز الرباني حيث يشير الفعل (اسكن) إلى قصر وقت الإقامة في الجنة حينذاك لأن الله تعالى إنما خلق آدم لخلافة الأرض فالسكنى من السكن وهو نوع من اللبث والاستقرار[٥٤] ،و في المقابل قال (ولكم في الأرض مستقر ومتاع) فالاستقرار في الأرض أطول وأكثر امتدادا من مجرد السُكنى٠

الأفعال المتقاربة الدلالة :

تتقارب بعض الأفعال في دلالتها حتى يُعتقد أنها تحمل المعنى ذاته ، وربما فسر البعض أحدها بذكر مرادفه ، مع أن هناك فروقا دقيقة بينها ، وهي فروق تظهر في سياقات هذه الأفعال، فكل فعل له دلالته الخاصة به حتى إن غيره ينبو به المكان إن حلَّ به نحو (يعدهم ويمنيهم) الشيطان يقدم الوعود الكاذبة لمواليه ، ويخبرهم بشيء يسرهم أو يسوؤهم ليمتنعوا عن امتثال أوامر الله ، فالوعد يكون في الخير والشر" قال الجوهري:الوعد يستعمل في الخير والشر ، قال ابن سيده : وفي الخير الوعد والعِدة،وفي الشر الإيعاد والوعيد "[٥٥]

٥١ - في ظلال القرآن / سيد قطب / دار الشروق / ج٣ / ص/ ٣٤١٤،٣٤١٣

٥٢ - لسان العرب/لابن منظور /ج ٤٣/ص٣٨٠٤/ دار المعارف

٥٣ - التصوير الفني في القرآن /سيد قطب /ص٩٣

٥٤ - انظر : مفاتيح الغيب للفخر الرازي /ج٣/ص٤

٥٥ - لسان العرب /لابن منظور / دار الشوق / ج ٥٤/ ص٤٨٧٢

والمثال على ذلك نراه في الحياة العادية فالإنسان منا يحب ماله الذي قد جاء بالتعب ، والصدقة في ظاهر الأمر تنقص المال ، ، لأن الشيطان يوسوس في صدر صاحب المال قائلاً : إنك عندما تتصدق ببعض المال فمالك ينقص ، وعدة الشيطان قد اختلفت بما يغري الإنسان فيغويه ، وفي هذا السياق تعلقت بالفقر ليحمل الإنسان على الإمساك والبخل ، فأطلق وعده عن كل قيد ، فهو الداعية إلى كل شر بتزيينه للكافر والعاصي ، فيستر قبح دعواه بمعسول المعاني ومكذوب المباني ، ويعد كل كافر وعاص بوعد يلائمه ، فلكل وسواسه الذي يناسبه ، فيعد أصحاب الشبهات بفاسد العلوم ، ويعد أصحاب الشهوات بفاسد الأعمال ، ولا يرد كيده إلا بالاستعانة بخالقه عز وجل ، وبذل السبب الدافع لوساوسه العلمية بنافع العلوم ، ووساوسه العملية بصالح الأعمال ، ولا يتلقى ذلك إلا من مشكاة النبوات ، فهي التي دلت على جهة الجزم والتفصيل على كل علم نافع وعمل صالح . فلا صلاح لدين أو دنيا ، ولا نجاة في أولى أو آخرة إلا باقتفاء آثارها تصديقا وامتثالا . والشيطان أيضاً يقدم الأماني الكاذبة في الوساوس : (ويمنيهم) ، والأماني هي أن يضع الإنسان في خياله أمراً يستمتع به من غير أن يخطو له خطوة عمل تقربه من ذلك الأمر ، ومثال ذلك الإنسان الذي نراه جالساً ويمني نفسه قائلاً : سيكون عندي كذا وكذا وكذا ولا يتقدم خطوة واحدة لتحقيق ذلك .

وكل أمنية لا تحفز الإنسان إلى عمل يقربه منها هي أمنية كاذبة ، ولذلك يقال :إن الأماني بضاعة الحمقى ، والشيطان يمني الإنسان بأنه لا يوجد بعث ولا جزاء .

و" الفرق بين وعده وتمنيته أنه يعد الباطل ، ويمني المحال ، والنفس المهينة التي لا قدر لها تغتذي بوعده وتمنيته ، كما قال القائل :

منى أن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

فالنفس المبطلة الخسيسة تلتذ بالأماني الباطلة والوعود الكاذبة ، وتفرح بها ، كما يفرح بها النساء والصبيان ويتحركون لها ، فالأقوال الباطلة مصدرها وعد الشيطان وتمنيته ، فإن الشيطان يمني أصحابه الظفر بالحق وإداركه ، ويعدهم الوصول إليه من غير طريقه نتساءل عن سر التعبير بالنزغ ، وبالطائف :

الطائف : الطائف من الشيطان هو الذي يطوف حول القلب لتقع فيه وتستقر عليه ، فإذا طاف الشيطان بالإنسان وأبعده عن طاعة الله (تذكّر).

سوّل : جعله يصرّ على الذنب الذي فعله فيستمر في الذنب ويكرّره ويعود إليه ، التسويل إذن هو حرص الشيطان على أن يسهل لك الأمر حتى تعود إليه مرة أخرى ،الإملاء : يملي عليه : بعد أن يستمرّ بالتسويل ويستمرّ على ضلاله ، و يملي الشيطان عليه ويفتح عليه أفكاره ، فبعد أن يحرص على الضلالة ويصرّ على المعصية ، يملي عليه الشيطان بأفكار وفلسفات . إذن التسويل مرحلة تسبق الإملاء فسبحان من أنزل القرآن معجزا في لفظه ومعناه ونظمه ومبناه.

Doi:10.12816/jnal.2021.144692

المبحث الثاني

أسرار الإفراد والجمع في الآيات

ضمت دراسة الإفراد والجمع في القرآن الكريم الكثيرَ من النكات والأسرار البلاغية.

وقد حظيت بعناية العلماء واهتمامهم وخاصة علماء التفسير ، الذين لهم اليد الطولى في إظهارها إلى حيز الوجود ، ووضع لبناتها الأولى ، كاشفين من خلالها عن أسرار الإعجاز ومواطن الإبهار . مظهرين تلك الأسرار والنكات في أسلوب يكشف عن سر إفراد لفظة وجمع أخرى . ناظرين في ذلك كله إلى السياق الذي وردت تلك اللفظة فيه ، وما يكون بينها وبين أخواتها من وشائج قربى وعلاقات صلة ، اقتضت ذكرها على ذلك الوجه ، ثم امتدت تلك الدراسات وتفرعت ، متجاوزة دراسات المفسرين إلى الدراسات التي تتصل بعلوم القرآن ، حيث كان لعلمائها[٥٦] جهودهم المشكورة في هذا المجال .

والآيات التي تتحدث عن الشيطان كغيرها من الآيات في القرآن الكريم قد حظيت بنصيب وافر من تلك الألفاظ ، فجاءت بعض ألفاظها إما مفردة أو مجموعة ؛ ولها في كل حالة من تلك أسرار بلاغية وفرائد أسلوبية نبينها على النحو التالي :

أولاً : الإفراد : في الآيات موضع الدراسة جاءت مفردة

حمل الإفراد في الآيات التي تتحدث عن الشيطان نمطاً معيناً ذلك أن اللفظة المفردة جاء إفرادها إفرادا عاماً ، أي أنها لم ترد في القرآن – عامة- إلا مفردة، أو أنها تأتي مفردة ومجموعة ووردت في الآيات موضع الدراسة بصيغة الإفراد دون الجمع وسنذكرها كالآتي :

أ- الألفاظ المفردة – عامة – في الآيات موضع الدراسة وغيرها .

(١) الصراط :

وردت لفظة الصراط في القرآن الكريم في أربعة مواطن : (الصراط – صراطاً– صراطي - صراطك) وجاءت في الآيات موضع الدراسة مرتين مرة بصيغة (صراطك) والمقصود به في كلا الموضعين : الطريق ، وطريق الحق بالتحديد ، وقد ورد الصراط موصوفاً بالاستقامة في أكثر مواضعه في كتاب الله العزيز[٥٧] ؛ وذلك لوضوحه وسهولة السير فيه . ولعل السر في إيثار القرآن التعبير (بالصراط) مفردا

[٥٦] - كالسيوطي في كتابه الاتقان ٢٩٩/٢، والزركشي في كتابه البرهان ٣/٤

[٥٧] - راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم /٥١٧

دون الجمع (صرط) وضوح الحق وبروز معالمه دائماً فالحق طريقه واحد خلافاً لطرق الباطل والغواية ، فهي متعددة ، متشعبة لتعدد ألوان الضلال وتشعبها .[٥٨]

(٢) الأرض :

لفظة الأرض جاءت مفردة في هذه الآيات لأن السياق يقتضي ذلك فالآية الأولى : يخبر الله بأن الأرض ستكون لآدم ولزوجه مستقراً ، وفي الآية الثانية : يبيح للناس الأكل من الأرض أي من خيرات الأرض . وفي الآية الثالثة : كانت الأرض موضعاً للشياطين الذين استهووا من ابتعد عن هدى الله ، ولم ترد كلمة الأرض في القرآن كله إلا مفردة فقد جاءت في أربعمائة وواحد وستين موضعاً كلها مفردة ، وحتى إذا ذكرت معها " السماء " مجموعة فإن لفظة الأرض تأتي معها مفردة في كل موضع ، ولما ناسب السياق جمعها عدل عنها إلى تعبير يفيد الجمع لكنه ليس بجمع لها وذلك في فلم يقل : سبع أرضين واكتفى بجمع لفظ "مثلهن " وكلمة الأرض لو أريد جمعها على قياس جموع التكسير لقيل : أراض كأجمال ، أو أروض كفلوس إلا أن هذا الأمر مستثقل لأن جمع كلمة الأرض ليس فيه من الفصاحة والعذوبة ما في السموات ، فما في لفظ السماوات " يلج في السمع بغير استئذان لنصاعته وعذوبته ، و لفظ الأراضي لا يأذن له السمع إلا على كره "[٥٩]

(٣) النّار :

ورد لفظ النار على وجه الوعيد لمن عاد للربا والتعامل به "فلفظة النار بظلالها وجرسها الصوتي – من تشديد نونها وتردد رائها – فيها من الشّدة والقسوة ، ونبرة التخويف ما ناسب كونها عذابا لمن خالف أمر الله ، و في الآية الثانية جاءت لفظة النار على لسان إبليس اللعين مفتخرا بأصل خلقته فإفرادها راجع إلى أصلها ، فهي ذات أصل واحد ، ومادتها واحدة فناسبها الإفراد "[٦٠]

وقيل : " إنما أفردت باعتبار الجنس ، ولما كانت النار تعذيبا ناسب إفرادها ، نظير إفراد الريح في العذاب وهي دار حبس ، و الغاضب يجمع جماعة من المحبوسين في موضع واحد أنكد لعيشهم فالنار إذاً لكل مذنب لذا لم تُجمع "[٦١]

(٤) السمع :

ذكر في السمع المصدر ولم يجمع السمع ، لأن المصدر لا يجمع وذلك لحكمة ، وهو أن السمع قوة واحدة وله فعل واحد ، فإن الإنسان لا يضبط في زمان واحد كلامين ، والأذن

---

[٥٨] - راجع الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن /د. محمد الأمين الخضري / مطبعة الحسين الإسلامية / الطبعة الأولى ١٤١هـ - ١٩٩٣م / ٣٦-٣٧

[٥٩] - بدائع الفوائد /ابن قيم الجوزيه / ١٠٣/١

[٦٠] - راجع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٠١/٢.

[٦١] - البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٤/٤ بتصرف

Doi:10.12816/jnal.2021.144692

محله ، ولا اختيار لها فيه ، فإن الصوت من أي جانب كان ، يصل إليه ،ولا قدرة لها على تخصيص القوة بإدراك البعض دون البعض ، خلافا للبصر الذي غالبا ما يأتي مجموعاً ؛ لأن الإبصار محله العين ، ولها فيه شبه اختيار ، فإنها تتحرك إلى جانب مرئي دون آخر ،و كذلك الفؤاد، أما السمع فله قوة واحدة ، ولها فعل واحد ولهذا لا يسمع الإنسان في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما ، بينما يدرك في زمان واحد صورتين وأكثر ،ويستبينهما. فإفراد السمع جرى على الأصل في إفراد المصدر لأن أصل السمع أنه مصدر . وقيل : الجمع باعتبار المتعلقات فلما كان البصر يتعلق بأنواع كثيرة من الموجودات وكانت العقول تدرك أجناساً وأنواعاً جُمِعا بهذا الاعتبار وأفرد السمع لأنه لا يتعلق إلا بنوع واحد وهو الأصوات.[٦٢]

ب- الألفاظ التي جاءت بالإفراد والجمع وذكرت في الآيات موضع الدراسة مفردة :

(١) السماء :

هناك ألفاظ تأتى مفردة تارة ومجموعة تارة أخرى ، وذلك لحكمة مثل: السموات والسماء، فحيث أُريد العدد أتى بصيغة الجمع الدال على السعة والعظمة . أي جميع سكانها على كثرتهم (تسبح له السموات) أي كل واحدة على اختلاف عددها .يقول السهلي : " قد يرد لفظ السماء عبارة عن كل ما علا من سماوات فما فوقها إلى العرش ، وغير ذلك من المعاني العلوية المختصة بالربوبية ، فيكون اللفظ بصيغة الإفراد كالوصف المُعبَّر به عن الموصوف"[٦٣]

(٢) الرحمة :

الرحمة لفظ رقيق دال على معناه ، ورد في القرآن بالجمع والإفراد ، وفي الآيات موضع الدراسة ذُكرت الرحمة مفردة مرتين ، وفي كلا الآيتين جاء الحديث عن الرحمة فيها من باب الامتنان فالله سبحانه وتعالى يمتن على عباده برحمته عليهم ففي الآية الأولى : رحمة الله بإرشادهم إلى أنواع المصالح ، و التحذير من المكائد ومن حبائل الشيطان وأنصاره[٦٤].وفي الآية الثانية يمتن الله على المؤمنين برحمته بالمغفرة عند التوبة وأنه لولا ذلك ما كان أحد من الناس زاكياً ؛ لأن فتنة الشيطان فتنة عظيمة لا يكاد يسلم منها الناس لولا رحمة الله وفضله ، وإفراد الرحمة هنا للدلالة على أن رحمة من الله كافية لنجاة الناس جميعا وحمايتهم من الزلل والغواية وإتباع الشيطان الرجيم ٠

(٣) حزب :

٦٢ - راجع / التحرير والتنوير /ج١٩/ص٢٠٧
٦٣ - السهيلي ، نتائج الفكر ، ١٦١
٦٤ - انظر : التحرير والتنوير / للطاهر بن عاشور / ج٥/ص١٤٢

سمى أتباع الشيطان حزباً على تعددهم وكثرة عددهم إلا أنه جاء بصيغة المفرد – حزب – ولم يأتِ بصيغة الجمع ، ولعل ذلك دال على أن أتباع الشيطان مهما اختلفت مذاهبهم إلا أنهم حزب واحد ضدَّ الحق وأتباعه ، و في المقابل سمى الله المؤمنين الذين يتبعون الحق حزب الله حتى وأن اختلفت طرقهم في الهداية وتعددت طرقهم في الدعوة إلى الحق إلا أنهم متحدون ضد الباطل ، كما أن الحق واحد والمعبود واحد.

ثانياً : الجمع :

جاءت ألفاظ عديدة في الآيات موضع الدراسة بصيغة الجمع دون الإفراد ، و هي في كل موضع من مواضعها تلك تؤدي معناها المراد الذي اقتضاه السياق ، من تلك الألفاظ :

(١) **همزات** :

وردت لفظة (همزات) في القرآن مرة واحدة تعليماً لنبيه عليه السلام كيفية التخلص من وساوس الشياطين ونزغاتهم ، فذكرت همزات بالجمع دون الإفراد (همزة) لبيان أن الشياطين متنوعوا المداخل التي يلجون من خلالها على أهل الإيمان ، وفيه لفت نظر المؤمنين إلى ضرورة التيقظ والحذر في كل الأمور التي قد تكون مداخل لهؤلاء الشياطين ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن صفية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"[٦٥] فهمزات توحي بأن خطر هؤلاء الشياطين يحيط بالمؤمن من كل جانب ، فتعدد الجهات ناسبه جمع همزات ، وإذا كان الخطر لا يُعلم مصدره كان ذلك أدعى لأخذ الحذر والترقب الدائم بخلاف ما إذا كان مصدره معروفاً ، واتجاهه محدداً فإن هذا مدعاة إلى أن يركن الإنسان إلى الدعة ويقل حذره . وربما كان الجمع هنا في همزات لتعدد المضاف إليه وهم الشياطين[(٦٦)].

(٢) خطوات :

وردت لفظة (خطوات) في القرآن الكريم مجموعة ومضافة إلى الشيطان أربع مرات والخطوات جمع خطوة بضم الخاء : اسم لنقل الماشي إحدى قدميه التي كانت متأخرة عن القدم الأخرى وجعلها متقدمة عليها [(٦٧)] وفي مجيء الخطوات بصيغة الجمع دون الإفراد دلالة على أن الشيطان لا يكتفي بمحاولة واحدة لإغواء الإنسان ، بل يتدرج به في المعاصي ويخطو معه خطوة تلو خطوة في دروب الغواية ، ففي هذه الصيغة مزيد تحذيرٍ لبني آدم للحذر من هذا العدو الذي يسعى لإغواء الإنسان ، و يجعله يسير

---

[٦٥] -رواه البخاري (٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩) ومسلم (٢١٧٥)
[٦٦] - راجع تفسير ابن أبي السعود ١٥٠/٦
[٦٧] - التحرير والتنوير / للطاهر بن عاشور / ج١٨/ص ١٧٨

في سبل الغواية خطوة بسيطة لا يشعر بها ، ويتبعها بخطوة أخرى حتى تتابع خطواته ، فيصعب عليه العودة من ذلك الضلال البعيد .

(٣) أصحاب :

لفظ صاحب وردت في القرآن مفردة ومجموعة ، وليس هنا مجال بحثها ، وإنما لنتأمل دلالة إيراد صيغة الجمع في هذه الآية (أصحاب) دون صاحب ، ومعنى أصحاب " أي له رفقة معه حين استهواء الجن "[٦٨] فالذي تستهويه الشياطين يكون" تاركاً لرفاقه على الطريق المستقيم "[٦٩] ولعل ذلك يدل على أن من اتبع الشيطان وترك هدى الله فإنه لا يمكن لأصحابه مهما كثروا أن يهدوه أو يردوه عن طريق الضلال الذي اتبعه ، ولعل في إيراد قصة إبراهيم بعد هذه الآيات دليلاً على أنه لا يمكن لمخلوق أن يهدي من أضله الله ، فإبراهيم لم يتمكن من إرشاد أبيه أو دفعه لإتباع الهدى مع ما بذله من جهد .

المبحث الثالث

التعريف والتنكير :

تعد دراسة التعريف والتنكير في الدرس البلاغي من أكثر المباحث البلاغية ثراءً وتنوعاً – ولعل هذا راجع إلى أمرين – الأول : تنوع صور التعريف ، ولكل واحد من تلك الصور دلالاته البلاغي ، وأثره في تلوين العبارة ، وإخراج المعنى على وجه يغاير الآخر. والأمر الثاني : إنّ دراسة التعريف و التنكير تتناول كل الأسماء الداخلة في تكوين الكلام ، فكل اسم إمّا أن يكون نكرة أو معرفة .

وقد أفاض فيه علماؤنا – دراسة وتطبيقاً- فطبقوه على البيان العربي عامة ، والقرآن على وجه الخصوص[٧٠].حيث ورد كثيراً فيه ، وفي الآيات موضع الدراسة.

والمتأمل للتعريف والتنكير في الآيات التي تتحدث عن الشيطان يجد أنها جاءت لتزيد المعنى بيانا وتضفي على العبارة حلاوة وهذا البحث يحاول الوقوف على بعض سياقات التعريف والتنكير في الآيات موضع الدراسة ، رغبة في إدراك بعض أسراره ولطائفه في السياق القرآني.

أولا:التعريف في الآيات التي تتحدث عن الشيطان :

---

٦٨ - التحرير والتنوير / للطاهر بن عاشور / ج ٧ /ص٣٠٢

٦٩ - تفسير المراغي /ج٧/ص ١٦٥

٧٠ - انظر / الإتقان في علوم القرآن للسيوطي / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية بيروت /١٤٠٨هـ-١٩٨٨م /٢٩١/٢، والبرهان للزركشي ٨٧/٤، والطراز للعلوي /٢٠٨وما بعدها حيث اكتفى بدراسة المعرف بأل فقط ،والتبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي /٥٧- ٨٣- ٩٢-٩٣-٩٤، والإيضاح للقزويني ٩/٢إلى ٣٩، ١٢٨/١٢٩

تنوعت صور التعريف في الآيات التي تتحدث عن الشيطان ، حيث ورد التعريف بالضمير ، والاسم الموصول ، واسم الإشارة ، وبالإضافة ، والعلمية ، والتعريف بأل،و تفاوتت في كثرتها وهي على النحو الآتي :

(١) التعريف بالضمير :

أكثر أنواع المعارف التي وردت في الآيات هو التعريف بالضمير حيث ورد فيما يقارب خمسمائة موضع وأكثر ، كان في معظمها دالاً على الاختصار ، و عندما يقدم الضمير المنفصل فإنه يفيد القصر في بعض سياقاته وكان القصر في هذه الآية عن طريق تعريف الطرفين وتوسيط الضمير المنفصل (هم) للدلالة على خلودهم في النار، أي هم الخالدون في النار دون غيرهم .

(٢) **التعريف (بأل) :** يلي التعريف بالضمير – كثرةً – التعريف بأل ، وهي أنواع ومن أهمها (أل) التي للعهد والتي للجنس، وتذكر الأولى إذا كان قد سبق الكلام عن المعرَّف، وعلى ذلك يكون حاضراً في الذهن، لذا قالوا عنها : إنها للعهد الذكري أو الذهني، أما الثانية فتذكر لقصد التعميم والشمول والاستغراق . ووردت في الآيات موضع الدراسة في مائتي موضع على ، وحلّ له من الأسرار واللطائف الشيء الكثير ، وكسا الكلمات التي ارتدته ثوباً من الحسن البلاغي الذي لا نراه إلا في هذا الكتاب المعجز .

(٣) التعريف بالإضافة :

جاء التعريف بالإضافة في الآيات موضع الدراسة في مائة وستين موضعا ، وجاء التعريف بالإضافة لإفادة أغراض بلاغية وللدلالة على أسرار ومزايا تضمنتها الآيات . وهناك ألفاظ في الدعاء القرآني كثرت الإضافة إليها من أشهرها لفظ (رب) وفي الإضافة إليها أسرار ودقائق وسنتناول هذا اللفظ بحسب ما يضاف إليه.

(٤) التعريف بالإضافة :

جاء التعريف بالإضافة في الآيات موضع الدراسة في حوالي مائة وستين موضعا ، وجاء التعريف بالإضافة لإفادة أغراض بلاغية وللدلالة على أسرار ومزايا تضمنتها الآيات . وهناك ألفاظ في الدعاء القرآني كثرت الإضافة إليها من أشهرها لفظ (رب) وفي الإضافة إليها أسرار ودقائق

(٥) التعريف بالاسم الموصول :

كانت عناية علماء البلاغة بالتعريف بالاسم الموصول ، وعلى الخصوص لفظ(الذي) ، كبيرة حتى أن الإمام عبد القاهر الجرجاني أفرد فصلاً خاصاً بهذا اللفظ

(٧١). معلوم أن التعريف بالموصولية من " أشيع طرق التعريف سواء في ذلك كلام الله سبحانه وتعالى وكلام الناس ، وذلك لأنه مفرد متضمن جملة ولذلك يتسع لكثير من أحوال المعرّف" (٧٢) ورغم شيوعه فإنه لم يرد في الآيات موضع الدراسة إلا فيما لا يزيد عن ستة وأربعين موضعاً ، وهو في كل موضع من تلك المواضع يحمل دلالات اقتضاها السياق ، وأثرى بها المعنى بما لا نكاد نجده إلا في هذا البيان المعجز ٠

الفصل الثالث

المبحث الأول

علاقات الجمل

يقصد بعلاقات الجمل ما يكون بينها من فصل ووصل ٠ فمعلوم أن بين الجمل علاقات نسب ووشائج قربى ، ينظمها السياق الذي تأتي فيه ، و المعنى الذي تدور حوله كل جملة في ترابط رائع ، ونظام محكم .

وتعد دراسة الفصل والوصل من أصول البلاغة بل هي حدها الأعلى ، وليس أدل على ذلك من قول الفارسي حين سُئل " ما البلاغة ؟ فقال معرفة الفصل من الوصل "(٧٣)

فمعرفة الفصل والوصل فن "عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علما بكنهه ، إلا من أُتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ورُزِق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً" (٧٤) ،"وذلك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة " (٧٥)

وقد عدَّ الشيخ عبدالقاهر معرفته معرفة تامة من صفات العرب الخُلص ومن طُبِعوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام ،(٧٦)هم بها أفراد وقد قيل "البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام "(٧٧)

والوصل هو :" عطف بعض الجمل على بعض بالواو ، والفصل تركه "(٧٨)والذي فتح الكلام في أسرار الوصل والفصل عند العلماء ، النظر في عطف المفردات أولا ، ثم النظر في عطف الجمل التي لها محل من الإعراب باعتبار أنها ، كالمفرد ووضعوهما في علم النحو ،و قد بين الشيخ عبدالقاهر ذلك بقوله :"لا يكون للجملة موضع من

---

٧١ - دلائل الإعجاز / ص١٩٩

٧٢ - انظر خصائص التراكيب /١٥٢

٧٣ - انظر البيان والتبيين ٨٨/١، الصناعتين لأبي هلال العسكري / تحقيق / علي محمد البجاوي أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م /٤٣٨

٧٤ - الإيضاح /٩٧/٣

٧٥ - دلائل الإعجاز / ٢٢٢

٧٦ - المصدر السابق / ٢٢٢

٧٧ - الصناعتين /٤٣٨

٧٨ - الإيضاح

الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد . وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد ، وكان وجه الحالة إلى الواو ظاهراً ، والإشراك بها في الحكم موجودا "[٧٩]

وهذا العطف أمره جلي ، أما الذي يشكل فهو عطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب ، إذ العطف حينها لا يقتضي التشريك لأنه لا حكم للأولى. لذلك لابد أن يكون وراء هذا العطف أسرار ودقائق ، وقد خص البلاغيون الواو بالدراسة دون غيرها من حروف العطف كالفاء ، وثم ، وأو ، لأداء كل حرف منها معنى زائداً على التشريك ، فالفاء توجب الترتيب من غير تراخٍ ، وثم للترتيب مع التراخي ، و أو تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه ، وعند العطف بأحد هذه الأحرف تظهر فائدة هذه المعاني[٨٠].

أمَّا الواو فتفيد معنى واحداً هو الإشراك في الحكم . ومن الضرورة أن يكون بين المعطوفين نوع من المناسبة حتى " يكون المعنى في الجملة لفقاً لمعنى في الأخرى ومضامًّا له" [٨١]

المبحث الثاني

- **ترتيب الجمل وأسراره :**

حظي القرآن الكريم بنصيب وافر من دراسة ترتيب الجمل على أيدي المتقدمين والمتأخرين من علماء التفسير والبلاغة ، الذين نظروا إليها من حيث تقديم بعض الجمل على بعض ، وفصل بعضها ووصل الآخر ، أو حذف بعض الجمل طمعا في الإيجاز وبسط الأخرى رغبة في الإطناب ٠

وسنقف في هذا المبحث وقفة يسيرة نشير من خلالها إلى جهود علمائنا -خاصة المفسرين- في دراستهم للكتاب العزيز الذي لا تنقضي عجائبه ، فقد كانوا أصحاب فكر واعٍ مستنير ، وقفوا وقفات مباركة حول جمل القرآن محللين ومعلقين عليها ، وهذا باب من البلاغة قد اعتراه الإغفال زمنا ٠

ولعل أول من أشار إليه ودعا لولوجه الشيخ عبدالقاهر أثناء حديثه عن النظم،فقد بين أن اتحاد أجزاء الكلام وتداخل بعضها في بعض ، وارتباطها فيما بينها ، و تكاثرها ، مسلك دقيق ، ينبع من توخي معاني الكلام ذاته ، وملاحظة الفروق الدقيقة بين جمله ، حيث قال:" واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ، ويغمض المسلك،في توخي المعاني التي عرفت : أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ها هنا في حال ما يضع بيساره هناك . نعم ،

---

٧٩ - دلائل الإعجاز /٢٢٣

٨٠ - انظر المصدر السابق دلائل / الموضع نفسه .

٨١ - انظر المصدر السابق / ٢٢٥

Doi:10.12816/jnal.2021.144692

وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين ٠ وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره ، وقانون يحيط به،فإنه يجيء على وجوه شتى ، وأنحاء مختلفة) [٨٢] وقوله كذلك : (وإذ قد عرفت هذا النمط من الكلام ، وهو ما تتحد أجزاؤه حتى يوضع وضعا واحدا ، فاعلم أنه النمط العالي والباب الأعظم ، والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمه فيه) [٨٣] وقد عرض الشيخ لنماذج شعرية من هذا الباب بالشرح والتوضيح.

وهو بكلامه هذا قد فتح بابا عظيما لدراسة تراكيب الكلام وتكوينات الجمل .

وقد ألح الدكتور محمد أبو موسى في كثير من كتبه إلى قيام دراسات واعية ، تدور حول تكوينات الجمل حيث يقول في كتابه دلالات التراكيب : قد كتبت هذا الكتاب في طبعته الأولى وأنا أفكر في موضوع تكوينات الجمل واختلاف هذا التكوين من كاتب إلى كاتب كما نبهت في الطبعة الأولى ، وكنت أقول في نفسي : لماذا عني البلاغيون بعلاقات الجمل وأهملوا تكويناتها ونسجها الداخلي من حيث طولها وقصرها ؟ لأنهم عنوا بها ولا شك عناية فائقة من حيث التقديم والتأخير والحذف والذكر ... وكنت اقرأ مع الطلاب أبوابا من صحيح البخاري ، وكان اهتمامي متجهاً إلى البنية التركيبية المتماسكة في كلامه صلى الله عليه وسلم ، وأكثر كلامه صلى الله عليه وسلم من الكلام الذي ترى فيه الجمل تتداخل وتتنامى ، و يلتحم بعضها ببعض حتى تكون كالجملة الواحدة توضع في النفس وضعا واحدا ...) [٨٤] وقد شرح طرائق القرآن في تشابك الجمل وتداخلها في دراسته لآية عباد الرحمن من سورة الفرقان[٨٥] فدل بذلك على الطريق ومهد السبيل ٠

وسنتلمس في هذا المبحث الطريق الذي عُبِد ونلج الباب الذي فُتح ، حيث ندرس بعض الآيات التي ورد فيها ذكر الشيطان للوقوف على سر ترتيب جملها على النحو الذي جاءت عليه ، ونعتمد في ذلك على السياق القرآني الواردة فيه تلك الآيات ٠

المبحث الثالث

مظاهر الإيجاز والإطناب

يعد الإيجاز والإطناب من أبواب البلاغة المهمة ، وقد تناولها الدارسون بالتفصيل والإيضاح، مع العلم أن مسألة الإيجاز في الكلام – بالحذف أو القصر – والإطناب فيه مسألة يحددها المتكلم ، وتكون حسب الحاجة ، ووفق ما يقتضيه المقام ، فكل منهما مطلوب في موضعه ، وله بلاغته ، فلا الإيجاز أبلغ من الإطناب ، ولا الإطناب أبلغ من

---

[٨٢] -دلائل الإعجاز / ٩٣

[٨٣] - المصدر السابق / ٩٥

[٨٤] - دلالات التراكيب /٣٥٥

[٨٥] - المرجع السابق /٣٦٦

الإيجاز ، بل كما قال أبو هلال العسكري [٨٦] :" الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ، ولكل واحد منها موضع ، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه ، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته ، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ " [٨٧]
ويلحظ المتأمل لكل آيات القرآن - ومنها الآيات موضع الدراسة - الإيجاز والإطناب يتآزران معاً للإبانة عن المعاني الواردة على ألسنة المتكلمين ، في أسلوب بفيض بروائع البلاغة في البيان المعجز ؛ وقد ناسب كل واحد منهما موضعه الذي وضع فيه ، وأدَّى معناه كما يجب ، وكما يقتضيه السياق في تجانس بديع ونظم معجز.

ثبت المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن . جلال الدين السيوطي . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبه العصرية : بيروت . (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
أساس البلاغة . جار الله محمود بن عمر الزمخشري . دار الكتب المصرية : مصر . (د . ت)
أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجاني . تعليق / محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة . ط١ ، (١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م) .
الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال بهامش الكشاف . ناصر الدين أحمد بن محمد المنير . دار الكتب العليمة : بيروت . ط١ ، (١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .
الإيضاح . الخطيب القزويني . شرح / محمد عبد المنعم خفاجي ، المكتبة الأزهرية للتراث . بمصر ط٣ ، (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) .
البرهان في علوم القرآن . بدر الدين محمد بن عبد الله الزر كشي . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة : بيروت. ط٢ ، (د . ت) .
بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . تحقيق / محمد علي النجار ، المكتبة العلمية : بيروت . (د . ت)
البيان والتبيين . لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق / عبد السلام هارون دار الجيل : بيروت . (د. ت) .
الشعر والشعراء . لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . دار إحياء العلوم : بيروتَ . ط٤ . (١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م) .

[٨٦] - أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري ٠ عالم بالأدب ، له شعر وتوفي بعد ٣٩٥هـ ، ومن كتبه : التلخيص في اللغة ، وجمهرة الأمثال ، وكتاب الصناعتين : النظم والنثر ٠
انظر ترجمته في : الأعلام ١٩٦/٢
[٨٧] - الصناعتين /١٩٠

الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية . إسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين : لبنان . (د . ت) .
قصص الأنبياء . لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي . تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، المكتبة الإسلامية : بيروت .